

مكانة النحو في تعليم اللغة العربية

الدكتور رسول تقوي

Department of Arabic Language and Literature, Tabriz Branch, Islamic Azad
University, Tabriz, Iran

ملخص البحث

رغم أن كثيراً من اللغات العالمية لم تعرف علم النحو حتى القرن المنصرم، وضعت أسس علم النحو للغة العربية في العقود الأولى من العصر الإسلامي منطلقاً من حاجتها الفائقة إليه في المستويات اللغوية كافة (الصوتية و الصرفية و التركيبية و الدلالية)، و من ضرورة صيانتها من اللحن و الفساد و تيسير تعلمها و تعليمها للناطقين بها و لغيرهم، إذ تختلف هذه اللغة عن سائر اللغات بسماتها المتميزة من أهمها الشكل و الإعراب؛ كما تحمل عنوان أول لغة ثانية من بين اللغات، للتعليم إلى غير الناطقين بها كلغة الدين. و الحقيقة هي أن النحو وضع لأجل النحو و لم يستهدف أي نحوي في التاريخ تعليم اللغة بالنحو بل كان الهدف الأول و الآخر هو تعليم أصول النحو.

و مع تطور مناهج تعليم اللغة الثانية و منها المنهج الاتصالي، وضع النحو تدريجياً على جانب، باعتباره ليس هدفاً بل الهدف هو نفس اللغة لا قواعدها و تركيز كل شيء حول التعليم الاتصالي و لا غير؛ لكن لم يلبث أن تبين ضرورة مصاحبة تعليم اللغة مع أمهات النحو، حيث تم استخدام النحو مرة أخرى ضمن تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها و مازالت قواعد اللغة تعد جزءاً لا ينفك عن اللغة؛ لكن ما هي مكانة النحو في تعليم اللغة العربية لكل من الناطقين بها و لغيرهم على حدة و ما هي إستراتيجيات تعليم القواعد الفعالة ضمن مناهج تعليم اللغة كالمنهجي القياسي (النحو و الترجمة) و الاتصالي، الإستراتيجيات التي تدعم تعليم اللغة العربية؟

تأتي أهمية هذه الدراسة من أهمية المكانة التي يحظى بها النحو العربي، باعتباره أداة رئيسية للمنهج القياسي لتعليم اللغة العربية في أنحاء العالم الإسلامي؛ كما تأتي أهميتها لضرورة إعادة قراءة التراث النحوي وفق ثوابت العلم الحديث لإنجاز مشروع عربي متكامل، يتناول إعادة صياغة التراث النحوي صياغة علمية حديثة على غرار ما يوجد في العلوم الأخرى، لجعله في خدمة تعليم اللغة العربية للناطقين بها و لغيرهم بمحتواه و أسلوبه.

تقوم الدراسة بالمنهج الوصفي بالإضافة إلى منهج تحليل المحتوى، إلى تقييم مكانة النحو في تعليم اللغة العربية؛ بعرض موجز لأسباب عدم نجاحه في تحقق الكفاية اللغوية في كثير من الأحيان، للسعي على اقتراح منهج يلائم النحو و اللغة العربية على سواء لتفادي العوائق أمام تعليم هذه اللغة؛ علماً بأننا لا نحتاج اليوم إلى نظرية نحوية جديدة بقدر ما نحتاج إلى تفكير نحوي جديد يبنى على رؤية منهجية و نظرية واضحة.

الكلمات الرئيسية: النحو، اللغة العربية، الناطقين باللغة العربية و بغيرها، مناهج تعليم اللغة.

المقدمة

لقد وضعت أسس علم النحو للغة العربية في العقود الأولى من العصر الإسلامي منطلقاً من حاجتها الفائقة إليه في المستويات اللغوية كافة (الصوتية و الصرفية و التركيبية و الدلالية)، و من ضرورة صيانتها من اللحن و الفساد و تيسير تعلمها و تعليمها للناطقين بها و بغيرها، إذ تختلف هذه اللغة عن سائر اللغات بسمااتها المتميزة من أهمها الشكل و الإعراب؛ و الحقيقة هي أن النحو وضع لأجل النحو و لم يستهدف أي نحوي في التاريخ تعليم اللغة بالنحو بل كان الهدف الأول و الآخر هو تعليم أصول النحو.

و سبق وضع قواعد النحو إلى دراسة اللغة العربية و كانت بداية النحو عند نحاة العرب القدماء، محاولة جديّة لإنشاء منهج و صفي لدراسة اللغة يقوم على جمعها و روايتها، ثم ملاحظة المادة المجموعة و استقراءها للخروج بعد ذلك بنتائج لها طبيعة الوصف اللغوي السليم و لكن منهجهم سرعان ما تحول إلى منهج معياري صارخ و عمد النحاة العرب إلى المنطق الأرسطي و راحوا يطبقون علم النحو حتى أصبح كلامهم في النحو أقرب إلى الفلسفة منه إلى النحو نفسه و كانوا يقدمون نماذج إفتراضية في معالجتهم للغة.

و لقي موضوع تعليم اللغة العربية خاصة لغير الناطقين بها اهتماماً واسعاً في العقود الأخيرة، لا سيما بعد تطور مناهج تعليم اللغة الثانية و منها المنهج الاتصالي و وضع النحو تدريجياً على جانب، باعتباره ليس هدفاً بل الهدف هو نفس اللغة لا قواعدها و تركز كل شيء حول التعليم الاتصالي و لا غير؛ لكن لم يلبث أن تبين ضرورة مصاحبة تعليم اللغة مع أمهات النحو، حيث تم استخدام النحو مرة أخرى ضمن تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها و مازالت قواعد اللغة تعد جزءاً لا ينفك عن اللغة؛ لكن ما هي مكانة النحو في تعليم اللغة العربية لكل من الناطقين بها و بغيرها على حدة و ما هي إستراتيجيات تعليم القواعد الفعالة ضمن مناهج تعليم اللغة كالمنهج القياسي (النحو و الترجمة) و الاتصالي، الإستراتيجيات التي تدعم تعليم اللغة العربية، و بالتالي هل من المؤمل تجديد القواعد النحوية لجعلها أداة لتيسير تعليم اللغة العربية للناطقين بها و بغيرها ضمن المناهج العصرية.

أهمية البحث

تأتي أهمية هذه الدراسة من أهمية المكانة التي يحظى بها النحو العربي، باعتباره أداة رئيسية للمنهج القياسي لتعليم اللغة العربية في أنحاء العالم الإسلامي؛ كما تأتي أهميتها لضرورة إعادة قراءة التراث النحوي وفق ثوابت العلم الحديث لإنجاز مشروع عربي متكامل، يتناول إعادة صياغة التراث النحوي صياغة علمية حديثة على غرار ما يوجد في العلوم الأخرى، لجعله في خدمة تعليم اللغة العربية للناطقين بها و بغيرها بمحتواه و أسلوبه.

أهداف البحث

تقوم الدراسة بالمنهج الوصفي بالإضافة إلى منهج تحليل المحتوى، إلى تقييم مكانة النحو في تعليم اللغة العربية؛ بعرض موجز لأسباب عدم نجاحه في تحقق الكفاية اللغوية في كثير من الأحيان، للسعي على اقتراح منهج يلائم

النحو و اللغة العربية على سواء لتفادي العوائق أمام تعليم هذه اللغة؛ علما بأننا لا نحتاج اليوم إلى نظرية نحوية جديدة بقدر ما نحتاج إلى تفكير نحوي جديد يبني على رؤية منهجية و نظرية واضحة.

حدود الدراسة

تقتصر هذه الدراسة على جهود و محاولات الكتاب و العلماء المتخصصين في تعلم اللغة الثانية و تعليمها للناطقين بها وبغيرها بالنظر إلى آراء النقاد حول عدم ملائمة النحو التقليدي لتعليم اللغة العربية و ضرورة التجديد فيه لملائمة أكثر.

آراء حول تعليم القواعد النحوية

رغم أن معرفة قواعد النحو بنفسها لا تؤدي إلى إتقان اللغة؛ لكن من الضروري تعليم القواعد النحوية كجزء من المنهج التعليمي في تعليم اللغة العربية إما للناطقين بها و إما لغير الناطقين بها؛ إذ تختلف هذه اللغة عن سائر اللغات بسمااتها المتميزة من أهمها الإعراب. و خلال العقود الأخيرة، كان النقاش قائما بشأن استخدام القواعد النحوية في تعليم اللغات و يفضل أصحاب منهج القواعد و الترجمة، إدراج القواعد النحوية في عملية تعليم اللغات الثانية؛ بينما يفضل الآخرون تعليم اللغة بعيدا عن القواعد لعدم فائدتها بالتأكيد على أنها ضارة في بعض الأحيان وفقا لما ذكره نساغي و فوتوس(2004:145-126). و فيما يلي عدد من وجهات النظر حول مسألة استخدام القواعد النحوية في عملية تعليم اللغة الثانية.

و حسب رأي نساغي و فوتوس، يتفق عدد من الباحثين مع كراشن الذي يعتقد بأن تعلم اللغة ليس أمرا واعيا؛ كما لا يحتاج المتعلمون إلى تعليمات رسمية للحصول على اللغة و يمكن الحصول عليها من خلال

التعرض الطبيعي؛ كما يدعي باتستون(1994) أن المتعلمين قد يكونون غير قادرين على تطبيق معارفهم النحوية بشكل فعال في استخدام اللغة، لأن القواعد النحوية تتغير حسب التركيب من لحظة إلى أخرى. بالإضافة إلى ذلك، هناك بعض أسباب تشير بأن النحو لا يلعب دورا أساسيا في عملية تعليم اللغة، رغم أن بعض المعلومات النحوية مفيدة؛ هذه الأسباب(لويس1993) هي:

- إن الكثير من القواعد النحوية، تم جمعها من منظور نحوي و لا تنطبق على اللغة الإتصالية في كثير من الأحيان.

- إن القواعد التي يتم تدريسها في كثير من الأحيان، غير مفهومة لدى متعلميها و لا تساعد على تعليم اللغة.

- لا يوجد أي دليل بحثي أن المعرفة الصريحة لقواعد اللغة تساعد اقتناء النظام النحوي.

- و الأمر الواضح هو أن النحو ليس أساسا لاكتساب اللغة؛ و البحوث اللغوية تبطل بوضوح أي رأي مخالف لذلك.

إنه لحقيقة أن منهج التواصل كان ثورة في علم اللغويات النظرية و التطبيقية على حد سواء، رغم أن تعليم القواعد لم يكن جزءا منه. هذه الثورة، كما يذكر فيرجسون(2005) أدت إلى نشوء ظاهرة معروفة باسم " grammar phobia"، و مع ذلك، فقد حظي تعليم القواعد النحوية تجدد الاهتمام في السنوات الأخيرة، و في الواقع وفقا لفوتوس(1998:307-301) فإنها لم تغادر غرفة الصف، إذ يعد النحو عنصرا هاما من مكونات أي لغة. بالإضافة إلى هذه الأدلة الداعمة لتدريس قواعد اللغة، يشير باتستون(1994) إلى أنه يمكن تحسين معارف المتعلمين من النظام النحوي من خلال التركيز على أشكال معينة من قواعد اللغة و معناها، هي التي يفعلها تدريس النحو عادة ما. و هناك أسباب أخرى تدعو لإعادة النظر في إدراج قواعد اللغة في عملية تعليم اللغة، و قد أشار لايتونون إلى أن تدريس النحو يتوافق مع استعداد المتعلم و يؤخذ هذا في الحسبان في الدراسات التي أجريت مؤخرا بشأن مكانة النحو في اكتساب اللغة الثانية.(آل تويم:4)

و قد يكون هناك خلل في بعض حالات تدريس اللغة على أساس المنهج الاتصالي وحده؛ على سبيل المثال، قد أجرى بعض اللغويين (سوين و لابين1989) بحثا في برنامج تعليم اللغة الفرنسية و وجدوا أن المتعلمين على الرغم من المساهمة الهادفة و الطويلة، لا يمكنهم تحقيق الدقة في استخدام بعض القواعد اللغوية و لذلك يحتاج بعض النماذج النحوية نوعا معينا من التركيز، بغية تحقيق مستوى عال من الدقة.(آل تويم:4)

و خلال فترة أكثر من 20 عاما، ظهرت مجموعة كبيرة من الأدلة لإثبات حقيقة أن تدريس النحو له أثر إيجابي؛ هذه الأدلة مأخوذة من المختبرات و المراجعات الواسعة من الدراسات و البحوث القائمة على الفصول الدراسية؛ و يبدو أن هذه الحجج المختلفة سوف تستمر طالما اختلف اللغويون فيما يتعلق بتعلم اللغة و اعيانها أو غير واع، و طالما جادل علماء علم النفس المعرفي حول دور لغة التعليم.(فوتوس و نساجي 2004: 127)

ومع ذلك، هناك اعتقاد متزايد بأن المسألة الرئيسية ليست تعلم القواعد النحوية و تعليمها كحاجة، بل المسألة هي هل تساعد هذه القواعد في عملية تعلم اللغة أم لا؟(أور1996)، و إن تساعد، كيف؟ و يعتقد فوتوس(2005:653) إلى أن مجموعة من هذه الآراء قد تكون مناسبة لتعزيز التعلم الفعال للغة.

واقع النحو العربي

ليس هناك علم من العلوم العربية قد نال من العناية الفائقة و المجهود العقلي العميق ما ناله النحو العربي قديما و حديثا؛ فتضخمت مكتبة النحو العربي و ما يحيط به من دراسات تضخما تجاوز الحد المعقول و خرجت هذه الدراسات عن الغرض الذي من أجله يدرس النحو و يتعلم و هو خدمة اللغة في مستوياتها المختلفة قولاً و كتابة و قراءة. و لكن هذه العناية التي زادت عن حدها، قد انقلبت إلى ضدها كما يقال، فتعددت مسائل النحو و ضلت الحقائق الأصيلة فيه، بين الخليل الهائل الذي امتلأت به كتبه نتيجة التأثر بأفكار فلسفية و منطقية دخيلة تسربت إليه في وقت مبكر، ثم نمت دراستها فيه و استفحلت؛ و كانت بطبيعتها صالحة للتشقيق و التفريع و اصطراع الآراء حولها و وجد الباحثون من النحاة أنفسهم أمام هذه الأفكار الفلسفية الصالحة للأخذ و الرد و المناقشة و الجدل، فحاضوا فيها برفق أولا... ثم استخدمت البراعة الذهنية الفائقة بعد ذلك فيما يمكن أن نسميه «فلسفة النحو» لا في النحو نفسه.(تقوي2012:4)

و جعلت أبحاث النحو دراساته تبعد شيئاً فشيئاً عن الغرض الذي تخدمه، أو بعبارة أخرى: حدث الفراق بين النحو و اللغة، فدارت الدراسات النحوية و بخاصة لدى المتأخرين حول نفسها، تستقى مادتها من الذهن لا من اللغة و من الفلسفة العقلية لا من الواقع و من الشواهد المتجمدة لا من بحوث ميدانية، قوامها الاستقراء و المتابعة و من المصادر التي تعتمد على القياس و الافتراضات لإخضاع الأمثلة طوعاً أو كرهاً، لا من ملاحظة الناطقين باللغة و استعمالهم لها و متابعة ذلك بالدراسات المتطورة و هكذا جاءت التركيبة النحوية محملة بعبء ثقيل من أفكار غريبة عن الدراسة اللغوية الصافية و منتفخة بدقائق الفروع و المجادلات التي هي أثر من آثار اعمال الذهن و إجهاده. و كان لذلك رد فعل عنيف لدى الناطقين و المتعلمين على السواء.(عيد1966:93)

و من جانب آخر راح العلماء على مدى تاريخ النحو ابتداء من ابن مضاء القرطبي إلى شوقي ضيف، يهاجمون النحو التقليدي مطالبين بتجديد النحو و تيسيره و تخليصه مما فيه من تعقيد و عسر شديد و رغم أن درس النحو العربي يشهد تطوراً هاماً في الأسلوب بتناول التراث النحوي بالنقد إلا أن الغالب عليه في الكثير من المراكز العلمية، الطابع التقليدي الصرف الذي جعل منه درسا جامدا لا يقبل التجديد.

إن النحو منهج للتفكير و نظام للتعبير و الاتصال و الغاية من تدريس النحو إرساء النظام اللغوي في الذهن و إقامة اللسان و تجنب اللحن في الكلام؛ فإن تحدث المتعلم أو قرأ أو كتب كان واضح المعنى، مستقيم العبارة، جميل الأسلوب. لكن النحو العربي من حيث محتواه و طرائق تدريسه كما يعلم عندنا، ليس علماً لتربية الملكة اللسانية العربية و إنما هو علم تعليم و تعلم صناعة القواعد النحوية و قد أدى هذا مع مرور الزمن، إلى النفور من دراسته و إلى ضعف الناشئة في اللغة ذاتها.(مذكور2004:107)

إن تعلم اللغة العربية إنما هو عملية ذهنية واعية لاكتساب السيطرة على الأنماط الصوتية و النحوية و المعجمية من خلال دراسة هذه الأنماط و تحليلها بوصفها محتوى معرفياً؛ فتعلم اللغة يستند إلى الفهم الواعي لنظام اللغة كشرط لإتقانه، فالكفاية المعرفية سابقة على الأداء اللغوي و شرط لحدوثه.(طعيمة:399) و جوهر المشكلة ليس في اللغة ذاتها، إنما هو في كوننا نتعلم العربية قواعد صنعة و إجراءات تلقينية و قوالب صماء، نتجرعها تجرعاً عقيماً بدلاً من تعلمها لسان أمة و لغة حياة.(مذكور2002:287)

الطريقة القياسية أو طريقة النحو و الترجمة

إنه لا يمكن فهم دور النحو، دون فهم الطريقة التقليدية المتبعة في تعلم اللغة العربية و تعليمها على مر العصور و هي طريقة النحو و الترجمة. إن المدخل في تدريس اللغة وفقاً لهذه الطريقة هو شرح النظام النحوي و الصرفي، ثم الانطلاق من هذه المعاني النحوية و قواعدها إلى المهارات اللغوية الأخرى و التطبيق عليها، من خلال الألفاظ و الجمل و الأمثلة و الشواهد و النصوص.. إلخ و هو ما نسميه حالياً بالطريقة "القياسية" في تعليم اللغة العربية للناطقين بها، و طريقة "النحو و الترجمة" في مجال تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها.

لقد ظن البعض أن الطريقة القياسية تعود إلى عصر النهضة في البلاد الأوروبية، كأثر من آثار الممارسة في اللغتين اليونانية واللاتينية. لكن التاريخ يروي لنا أن هذه الطريقة عميقة في ممارسة تعليم اللغة في التاريخ العربي الإسلامي، خاصة في كتاب سيبويه وكتب ابن عقيل وشدور الذهب والأشموني وغيرها من الكتب التي تبعت الطريقة القياسية في تعليم العربية لأبنائها وطريقة النحو والترجمة في تعليم العربية لغير الناطقين بها.

و الطريقة القياسية هي إحدى طرق التفكير التي يستخدمها العقل في الوصول من المعلوم إلى المجهول. و الفكر في القياس ينتقل من القاعدة العامة إلى الحالات الجزئية بناء على القاعدة؛ أي من القانون العام إلى الحالات الخاصة. و لما كانت الجزئيات قد لا تنطوي كلها تحت القاعدة العامة؛ فقد أدى هذا إلى الحذف و التقدير و التأويل و اختلاف الآراء في المسألة الواحدة. لكن المشكلة أن تدريس النحو صار غاية في ذاته لدى المتأخرين؛ حيث نظر إليه على أنه وسيلة لتنمية ملكات العقل و طريقة التفكير، بصرف النظر عن الممارسة اللغوية الصحيحة.

إن طريقة النحو و الترجمة التي كانت الطريقة الغالبة لتعلم و تعليم اللغة العربية حتى العقود الأخيرة في البلاد العربية و غيرها؛ تقوم في التدريس على شرح القواعد و الانطلاق منها إلى تعليم قراءة النصوص العربية و ترجمتها إلى اللغات الأم أو اللغات المحلية. و قد اعتمد على هذه الطريقة في تعليم العربية في الشرق الأوسط و جنوب شرق آسيا و في أفريقيا. حيث كان الطلاب يحفظون سور القرآن، و تشرح لهم الألفاظ و المعاني، ثم تشرح القواعد التي تساعد على فهم التراكيب، ثم يدرّبون على قراءة النصوص و كتابتها و ترجمتها إلى اللغات المحلية. (مذكور:2004:117)

الطرائق المتبعة في تدريس العربية وفقا لطريقة النحو و الترجمة، تسير غالبا على النحو الآتي :

1. نظام اللغة و قواعدها النحوية و الصرفية هو الإطار المرجعي لتعليمها وتعلمها.
2. سيطرة الدارسين وفقا لهذه الطريقة يكون على مهارات القراءة و الكتابة قبل الاستماع و الكلام.
3. يلم الدارس بقواعد اللغة العربية و يتعرف على أصواتها و قواعدها و خصائصها أولاً.
4. تقدم القواعد النحوية حسب الترتيب المنطقي لها، ثم يتم القياس عليها عن طريق الشواهد و النصوص البلاغية.
5. تقدم الأمثلة و النصوص و التراكيب حسب ما يقتضيه نظام اللغة و قواعدها؛ فالألفاظ تابعة للمعاني النحوية. و الطلاب بمساعدة المعلم يردون الفروع إلى الأصول و يطبقون القواعد على النصوص.
5. ضبط النصوص و الأمثلة و الشواهد مرتبط بمعرفة النظام اللغوي و القواعد النحوية و الصرفية.
6. إذن فتنمية قدرات الطالب العقلية، هدف أساسي من أهداف هذه الطريقة حتى يستطيع مواجهة مواقف التعلم المختلفة بمشكلاتها غير المتوقعة. من هنا يتدرب الطالب كثيرا على القياس النحوي و على استقراء القاعدة النحوية في الأمثلة و الشواهد و النصوص البلاغية. (طعيمه:351)

هناك طرائق أخرى اتبعت في تدريس اللغات الأم عموماً و في تدريس اللغات الثانية على وجه الخصوص، منها " الطريقة المباشرة " و الطريقة "السمعية الشفوية" على أساس النظرية السلوكية و هي تعليم اللغة و ليست عن اللغة حسب التعبير السلوكي الحديث؛ و لذلك يجب تدريب المتعلم على الممارسة اللغوية و ليس على تعلم القواعد؛ حيث تعليم اللغة مستغن عن تعليم النحو الذي هو معرفة أواخر الكلم؛ فالفرد يمكن أن يتعلم اللغة الثانية بالمحاكاة كما يتعلم الطفل لغته الأم.

و في هذه الطريقة تعلم اللغة من خلال اللغة ذاتها و لا بد من اصطناع بيئة لغوية طبيعية؛ حيث تدرس النصوص و الأمثلة و الشواهد في مواقف طبيعية ترتبط بمدلولات النصوص. كما يتم تعليم النحو بأسلوب غير مباشر من خلال التعبيرات المحكمة و النصوص الجميلة التي يتم تكرار الاستماع إليها و ممارستها و تدريب المتعلم على مهارات الاستماع الجيد ثم مهارات الكلام السليم ثم تدريبه على قراءة ما استمع إليه و تحدث به، ثم كتابة ما قرأه. و يعلم النحو من خلال الأنماط اللغوية التي استمع إليها و تكلم بها، و ليس عن طريق عزل القواعد النحوية عن النصوص الواردة بها؛ و لا تعلم إلا القواعد الواردة في النصوص، حتى لو حدث إغفال لبعض القواعد النحوية؛ على اعتبار أن القواعد التي لا ترد في لغة الحياة، لا ضرورة لدراستها لغير المتخصصين.

و يبدأ تعلم اللغة وفقاً للنظرية المعروفة بالنظرية المعرفية بالفهم الواعي للمفاهيم النحوية فالممارسة عليها، فإن الكتب المقررة على الطلاب تسير على أساس المنهج الاستنباطي أو القياسي، الذي يبدأ بعرض المفاهيم ثم التدريب عليها. فهذا يعني أن تعلم اللغة هو عملية ذهنية واعية لاكتساب القدرة على السيطرة على الأنماط الصوتية و النحوية و المعجمية للغة و ذلك من خلال تحليل هذه الأنماط باعتبارها محتوى معرفياً. كما تعلم المهارات اللغوية الأربع في وقت واحد. فقواعد اللغة مثل قواعد الشطرنج، يتقنها الفرد إن تعلمها في موقف طبيعي يمارس فيه بالفعل هذه القواعد. (طعيمة:399)

و على أساس هذه النظرية تقدم النصوص في مواقف ذات معنى لدى المتعلم و يحتوي على المفاهيم المراد شرحها؛ عن طريق شرح هذه النصوص يتم عرض هذه المفاهيم و القواعد و توضيح أبعاد النظام اللغوي للغة العربية. ثم يأتي التطبيق في مواقف تشتمل على نصوص و حوارات و ألعاب لغوية...إلخ.

و وفقاً لهذه النظرية، إن الهدف ليس هو حصر المواقف التي يمكن أن يمر بها الطالب ثم التدريب عليها كما في النظرية السلوكية؛ لكن الهدف هو تدريب المتعلم على الاستخدام الواعي للقاعدة في مواقف جديدة يصعب توقعها أو التنبؤ بها أو حصرها؛ وهنا تلتقي النظرية المعرفية مع نظرية النظم و نظرية النحو التوليدي، حيث يتم تطبيق القاعدة الواحدة في مواقف غير محدودة و غير متوقعة و هنا يكون القياس و التحويل و الابتكار. و التركيز في التدريس على تنمية القدرة الذهنية عند الطالب و تدريبه على قواعد الاستنتاج والاستقراء و على مبادئ التعميم و التطبيق من خلال شرح مفصل للقواعد و تفسيرها حتى تتضح في ذهن المتعلم. فالتعلم الواعي لقواعد اللغة شرط أساسي لممارستها و فهم القواعد لا بد أن يسبق التطبيق عليها. (مذكور:2004:132)

المنهج المقترح لتعلم اللغة العربية و تعليمها

و انطلاقا من مميزات الطريقة التقليدية و المناهج الجديدة في مجال تعلم اللغة و تعليمها و لمعالجة المشاكل النحوية، يمكننا اقتراح منهج تكاملي يلائم اللغة العربية بما فيها. هذا المنهج كما يذكر الدكتور علي أحمد مذكور، يعتمد على تحديد القواعد النحوية المقررة لفئة المتعلمين حسب الهدف من التعلم و حسب نوعية الدارسين و خبراتهم السابقة و بما يتسق مع منطق النظام في اللغة العربية؛ كما يعتمد على اختيار النصوص الجميلة المناسبة و التي تتسق مع حركة الحياة و ثقافة اللغة العربية؛ فيتم الربط بين هذين على اعتبار أن تعلم القواعد المقررة سيتم استنباطا و استنتاجا و استقراء من خلال هذه النصوص.

و يتم تناول النصوص المناسبة لكل مرحلة أو لكل صف دراسي بالدراسة و الفهم و التحليل و التفسير و النقد و التقويم و استنباط القواعد المقررة من خلال الاستماع إلى النص منطوقا نطقا جيدا و التدريب على قراءة النص قراءة جهريّة، مع التركيز على معالجة الجوانب الصوتية و اللفظية و التركيبية من حيث معناها و مبناها و الوقوف على نظام اللغة و قوانين الإعراب المناسبة لهذه المرحلة أو لهذا الصف كما هي موجودة في النص. و هنا يجب ملاحظة عدة أمور مهمة:

- إنه يجب التعرض لبعض قضايا النحو ذات الأهمية للدارسين من خلال إطار لغوي متكامل، سواء كانت قضايا متصلة بالأصوات و دلالة الألفاظ و التراكيب أو كانت متصلة ببعض الأساليب النحوية أو البلاغية.
- إنه يجب الاكتفاء في المرحلة الابتدائية بدراسة مكونات الجملة العربية عامة و كما ترد في النصوص على أن يتم تفصيل ذلك في المراحل التالية.
- لا يخصص لكل مفهوم نحوي نص قائم بذاته، حتى لا تلوى أعناق النصوص أو تصطنع لخدمة النحو، وإنما يدرس في كل نص ما يحتويه من الأساليب النحوية و البلاغية المنشودة.
- أن يتم دراسة الأساليب النحوية كما هي منطوقة في النص، دون التعرض للحذف أو التقدير أو عوامل الإعراب في مراحل التعليم العام. (مذكور 2004:133)

الخاتمة

من خلال الدرس النظري و التطبيقي في هذا البحث، نستطيع القول بأن قواعد اللغة العربية ما زالت تعد جزءا لا ينفك عن هذه اللغة؛ حيث يتم استخدام النحو ضمن تعليم اللغة العربية إما للناطقين بها و إما لغير الناطقين بها على أساس المنهج الاتصالي علاوة على أساس المنهج القياسي أو النحو و الترجمة باختلاف ليس كبيرا في الأسلوب؛ رغم أن معرفة قواعد النحو بنفسها لا تؤدي إلى إتقان اللغة؛ لكن من الضروري تعليمها كجزء من المنهج التعليمي؛ إذ تختلف اللغة العربية عن سائر اللغات بسماتها المتميزة من أهمها الإعراب؛ و هذا يجعلنا في حاجة إلى إعادة قراءة التراث النحوي وفق ثوابت العلم الحديث لإنجاز مشروع

عربي متكامل، يتناول إعادة صياغة التراث النحوي صياغة علمية حديثة على غرار ما يوجد في العلوم الأخرى، لجعله في خدمة تعليم اللغة العربية للناطقين بها و بغيرها بمحتواه و أسلوبه، للسعي على اقتراح منهج يلائم النحو و اللغة العربية على سواء لتفادي العوائق أمام تعليم هذه اللغة؛ علما بأننا لا نحتاج اليوم إلى نظرية نحوية جديدة بقدر ما نحتاج إلى تفكير نحوي جديد يبني على رؤية منهجية و نظرية واضحة.

الهوامش:

- 1- تقوي، د. رسول(2012)، التجديد في النحو في ميزان النقد.
- 2- عيد، محمد(1966)، النحو العربي؛ بين النظر و التطبيق، مجله المجلة، يونيو، العدد 114.
- 3- طعيمة، رشدي أحمد: المرجع في تعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى، جامعة أم القرى اللغة العربية، العدد (18).
- 4- مذكور، د.علي أحمد(2004)، النحو العربي و دوره في تدريس اللغة العربية و فهم نظامها.
- 5- مذكور، د.علي أحمد(2002)، تدريس فنون اللغة العربية، الطبعة الشرعية الثالثة، دار الفكر العربي.

6-AL Towaim, Mohammad. Grammar Teaching.

7-Batstone, R. 1994 *Grammar*. Oxford: OUP

8-Ferguson, G. 2005 'Lecture on Teaching of Grammar'(Handout). University of Sheffield.

9-Fotos, S. 1998 Shifting the focus from forms to form in the EFL classroom. *ELT Journal*, 52.

10-Fotos, J 2005 'Communication Language Teaching: Strategies and Goals', in Hinkel, E (ed.) *Handbook of Research in Second Language Teaching and Learning*, London: Lawrence Erlbaum Associates.

11-Nassaji, H. and Fotos, S. 2004 Current Developments in Research on the Teaching of Grammar.*Annual Review of Applied Linguistics*, 24.

12-Lewis, M. 1993 *The Lexical Approach*. Hove: Language Learning Publications.

13-Ur, P. 1996 *A Course in Language Teaching*. Cambridge: CUP.